الأستاذة: منال روابح

مقياس : الأدب القديم والنقد الجديد

دروس موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر، تخصص الأدب القديم

المحاضرة الثامنة: المنهج الأسلوبي

1- الأسلوبية: الجذور والنشأة:

كان للسانيات دي سوسير في القرن العشرين الأثر الكبير في نشأة المناهج النقدية الحديثة والنقد، وانتهاجها الوصف والتحليل في مقاربة النصوص لكن الأسلوب كان سابقًا من الأسلوبية؛ لأنه ارتبط بالبلاغة منذ القدم ، هذه الأخيرة التي اهتمت بدراسة الخطاب دراسة جزئية تقوم على المعيارية ، بحيث فضلت الشكل على المضمون مما جعلها في النهاية تصاب بالعقم في استنطاق النصوص.

فجاءت الأسلوبية كمنهج جديد ليصحح المزالق التي وقعت فيها علم البلاغة القديم من حيث إغراقها في الشكلية واقتصارها على الجزئية.

إذن فالمرجعية الأولى للأسلوبية هي مرجعية غربية بحتة فهي تطوير للبلاغة عندهم، كما أن هناك نوع من التداخل بين الأسلوبية والبنيوية على اعتبار أن الأسلوبية تأثرت بنفس الاتجاهات التي أسهمت في تشكيل البنيوية (الفكر ، اللغة، والأدب)، فلم تكن قد تكونت البنيوية حتى اصطدمت بها الأسلوبية.

يعد **"تشارل بالي"** أول مؤسس للأسلوبية فقد كان يهتم بالمظهر اللغوي والأسلوب خارج نطاق الأدب، كما اشتركت عدة مدارس أروبية في تنمية الاتجاهات الأسلوبية **(الأسلوبية التعبيرية عند الفرنسيين- أسلوبية الحدس المعتمد على فكرة الدائرة الفيلولوجية عند المدرسة الألمانية "فوسلبر- سبتزر"- أعمال المدرسة الإيطالية والإسبانية "داه سو ألونسو" ...)**

كمـا كـان لنظريـات **"دي سوسـير"** وإسـهامات "**جاكبسـون"** وتصـورات **"تشومسـكي"** أثـر كبـير في توضـيح مسـار الدراسـة الأسلوبية.

و في الفكر العربي كان للمدرسة الإيطالية علاقـة خاصـة في بث روح التجديد في الدراسات البلاغيـة عنـد الشـيخ **أمين خولي** في كتابـة **" فن القول"** ، كما أثرت مدرسـة بـالي الفرنسـية في الأسـتاذ **أحمـد الشايب** في كتابة **"الأسلوب ".**

امتـد بعـد ذلـك تيـار البنيويـة ليصـبغ الأسـلوبية بطـابع خـاص عنـد **"ريفاتير"** في بحوثه الشعرية الألسنية وما ترتب عليها من توافق بين البنيوية والأسلوبية .

2- الأسلوبية: المفاهيم والإجراءات

يعتبر مفهوم الأسلوب نقطة أساسية في الدراسة الأدبية الأسلوبية، فالأسلوب في اللغة "هو الطريق والوجـه والمـذهب"، ويقـال: "أخـذ فلان في أسـاليب القـول أي أفـانين منـه". ويعـرف طـه حسـين الأسلوب قائلاً: "الأسلوب هو الرجل "

أمـا اصـطلاحًا فقـد تعـددت تعريفـات الأسـلوبية وانقسـمت إلى عـدة مجموعات، يمكن إيجازها في ثلاث نقاط رئيسية, وهب كالتالي:

الأولى: تعريفات ترد الأسلوب إلى المرسل نفسه، كما جا في تعريف " دي بوفون" المشهور : "الأسلوب هو الرجل نفسه"، كمـا ركـز الاتجـاه التوليدي على هذا الطابع الشخصي في دراسة الأسلوب.

ثانيـا: تعريفـات تركـز على الخـواص الممثلـة للنص في حـد ذاتـه بغض النظر عن قائله، تتجسد في الأعمـال الأدبيـة، وترتبـط أيضًـا بمجموعـة من الملامح المرتبطة بنظام خـاص (حين يتكـرر الملمح يشـكل سـمة أسلوبية).

ثالثًا: تعريفات ترتبط بالطرفين السابقين لكن تنظر إلى الطرف الآخـر الثالث المتلقي باعتباره هو الذي يميز بين الخـواص الأسـلوبية ويـدركها ويكشف أثرها ووظيفتها بإخضاعها إلى التحليل والتفسير.

الأسلوبية في مفهومها النقدي "هي العلم الذي يكشف عن القيم الجمالية في الأعمال الأدبية انطلاقًا من تحليل الظواهر اللغوية والبلاغية للنص الأدبي، فتركز على دراسة الخصائص اللغوية التي يتحول بها الخطاب من سياقه الإخباري إلى وظيفة تأثيرية جمالية، فهي تبحث عن ما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب".

ويعرفها شارل بالي بقوله: " هي جملة الصيغ اللسانية التي تثري النص وتكثفه وتكشف عن طبيعة المنشـء، وطبيعة تأثيره في المتلقي"، وهي " ضرب من البلاغة المعاصرة التي لا تنسخ اللغة القديمة نسخًا لكنها تفيد منها وتنتفع بها ومن معطيات الدرس اللساني "

الأسلوبية جزء لا يتجزأ من اللسانيات، فاللسانيات تدرس الدلائل صوتيًا، تركيبيا، ثم تأتي الأسلوبية لدراسة الطاقة الدلالية ، حيث تركز على الفكر اللغوي من النسيج الأدبي محاولة التقاط ملامحه وتحديد ظواهره بأكبر قدر من الدقة والتجسيد، ثم تغوص في النص ذاته محاولة تفسير وشرح الوظيفة الجمالية للأسلوب، متجاوزة بهذا السطح اللغوي.

وبهذا فالأسلوبية منهج يدرس النص ويقرأه من خلال اللغة وما تعرضه من خيارات أسلوبية على شتى مستوياتها نحويًا وصوتيًا ولفظيًا وشكليًا وما تصل إلى مدلولات ووظائف ومضامين، ترصد مكامن الجمال وما تحدثه من تأثيرات شتى في نفس القارئ، كما ترصد العلاقات الكامنة وراء النسيج اللغوي.

يبدأ التحليل الأسلوبي بالأصوات ثم ينظر إلى بناء الكلمة من حيث الشكل والوظيفة ، ثم تركيب الكلمات من جمل إسنادية فيبين القواعد والمعاني النحوية وينتهي إلى المعنى المتحصل من معاني الكلمات معجميًا وسياقيًا من خلال تضافر القطاعات اللغوية والمعطيات الاجتماعية والثقافية.

أي كان مفهوم الأسلوب فهو يحتاج إلى جهد في مقاربة النصوص حسب اختلاف الأجناس الأدبية، فمثلاً أسلوب الشعر يتم مقاربته حسب البنى التعبيرية الصغرى، أما أسلوب الرواية فإنه يتم عبر البنى الكبرى

المرتبطـة بتعـدد الأصـوات وببنيـة الزمـان والمكـان، وبالشـكل الكلي للخطاب.

3- التطبيقات الإجرائية للأسلوبية:

1- **الأسلوبية التعبيرية :** عند شارل بالي تُعني بـ :

- البحث عن القيمـة التأثيريـة لعناصـر اللغـة المنظمـة والفاعلـة المتبادلة بين العناصر التعبيرية.
- الأسـلوب عنـد بـالي هـو سـمات وخصـائص داخـل اللغـة اليوميـة واكتشاف الجوانب العاطفية والتأثيريـة الـتي تمـيز أداء من أداء ، من شخص إلى آخر، ومن بيئة إلى بيئة.

2- الأسلوبية النفسية : عند ليوسبيتزر تعني:

- دراســة الأســلوب الفــردي للأديب من خلال كشــف ملمح من الملامح اللغوية التي تشكل ظاهرة أسلوبية .
- اسـتفاد ليوسـبيتزر من أراء بروغسـون وفرويـد في تفسـيرهما" سيكولوجية الإبداع ، نظريات الشعور واللاشعور"
- تدرس الأسلوبية النفسية تفـرد الـذات في الإبـداع وانفرادهـا في التعبير والإلقاء.
- تدرس التحولات اللغوية التي تميز بها المبدع عن غــيره من خلال تدفقاته الشعورية.

3- الأسلوبية البنيوية : ميشال ريفاتير

- ركز على المتلقي فالمهم عنده هـو مـا يتولـد عن النص من ردود الفعـل لـدى القـارئ الممـارس لفعـل القـراءة. سـماه "القـارئ العمدة" مفترضًا أن يكون حاذقًا متكئ على قاعدة أدبية متمـيزة، ويمتلك ذوق جمالي.
- الأسلوبية عنده نظام إشاري يتضـمن أبعـاد دلاليـة ولا يقصـي أي مكـون لغـوي كمـا فعـل جاكبسـون حين قـام بإقصـاء المؤلـف والقارئ وركز على النص

4- الأسلوبية الإحصائية:

- يُعـنى هـذا الاتجـاه بـالكم والإحصـاء للظـواهر اللغويـة في النص، ويبني أحكامه بنا على نتائج هذا الإحصاء.
- تقـوم الأسـلوبية الإحصـائية على الوصـف الموضـوعي والقيـاس الكمي الـذي يسـتخدم إجـراءات التحليـل الإحصـائي والرياضـي (كلما كانت المقاييس متنوعة كان الإحصاء دقيق).

- من مميزاته أنه يخلص ظاهرة الأسلوب في الحدس الخـالص إلى حدس منهجي موجه ويخدم مناهج أسلوبية بشكل فعال.
لكن لا يجب الاعتمـاد عليـه كمنهج وحـده ويستحسـن أن يكـون مكملاً للمناهج الأسلوبية الأخرى؛ لأنه يعتمد على التحليل والتعليل ولا يسـتطيع وصـف الطـابع الخـاص والتفـرد في العمـل الأدبي،و ليس بديلاً للذوق ، فهو مجرد مقاربة منهجية للغة والأدب.

4- من عيوب الأسلوبية:

- تتناول بعض الجوانب وتبالغ في تحليلها وتهمل أهم جانب ألا وهـو الوظائف الأسلوبية وعلاقتها بالمعنى وتأثيرها عليه
- لا تهتم الأسـلوبية اللغويـة بالتأويـل ولا تتخـذه كغايـة من غاياتهـا، وعلى الرغم من أن الوصـف وجـه من وجـوه التأويـل لكنـه ليس تأويلا وإنما تمهيد له.

المراجع المعتمدة :

- **من كتاب: صلاح فضل، مناهج النقد الأدبي، ميريت للنشر والمعلومات مصر، 2002م.**
- **ينظر أيضًا :**
- **الأسلوب والأسلوبية: عبد السلام المسدي**
- **في النص الأدبي: د. سعد مصلوح**
- **اتجاهات البحث الأسلوبي: د. شكري عياد**
- **الشـــوقيات، دراســـة أســـلوبية : د. محمـــد الهـــادي الطرابلسي**
- **أسلوب الرواية: د. حميد الحمداني**